

إشكالية الضَّعْف اللغوي في المدرسة الجزائرية - قراءة نقدية للواقع التعليمي -

الأستاذ: سعد الدين هشام
جامعة الجلفة

« إنَّ الإصلاحات التربويَّة تقوم على أساس اللُّغة العربيَّة وليس من دونها، ولا إصلاح بتهميش اللُّغة العربيَّة. مَنْ نحن حتَّى لا نطبِّق، ونتقيَّد باللُّغة العربيَّة؟ ».¹
عبد العزيز بوتفليقة رئيس الجمهورية.

استهلال

لا ينكر أحد الجهود التي تبذل من قبل المشرفين على التربية والتعليم في الجزائر، في سبيل النهوض بالمناهج التعليمية، والعمل على تطويرها بين فترة زمنية وأخرى، لتواكب التحولات المتسارعة التي تشهدها المدرسة الغربية في مجالات علوم الديداكتيك والتعليميات، وذلك من خلال استثمار الخبرات الوطنية، والاستفادة من التجارب التعليمية العربية والأجنبية الناجحة، كل هذه المساعي تعكس الوعي السياسي والبيداغوجي الذي توليه بلادنا لأهمية اكتساب المدرسين لموضوع التعليميات تنظيراً وممارسة، لأن ذلك يسهم دون شك في ترقية الأداء التربوي والعلمي للمعلم والمتعلم على حد سواء.

ولكن بالرغم من ازدياد الاهتمام في مدارسنا بتعليمية اللغة العربية، وبمختلف الأنشطة التعليمية المندرجة ضمنها (قراءة، تعبير، قواعد، بلاغة...)، وبالرغم من كثرة المؤتمرات والملتقيات والدورات التكوينية التي سخرتها وزارة التربية الوطنية لهذا المسعى، إيماناً منها بأن خدمة اللغة العربية واجب قومي، وديني يدخل في صميم مسؤولياتها الوطنية في مجال التربية، فخدمة العربية والنهوض بها هي خدمة للأجيال والمجتمع بكامله، والارتقاء باللغة هو ارتقاء بحياة الأمة وبفكرها... ورغم كل ذلك فالنتائج المسجلة ليست في مستوى هذه الجهود، وغير متكافئة مع الأهداف المسطرة لتعليم اللغة العربية في مرحلة التعليم الابتدائي والمتوسط والثانوي إذ أن

¹. جريدة «الجزائر نيوز»، الجزائر، الصادرة في 12. 4. 05، ص. 2.

مستوى الكثير من الطلاب في اللغة العربية ضعيف ،لا يمكنهم من فهم التراث ،ولا يسمح لهم من اتقان المهارات اللغوية في التواصل مشافهة وكتابة ،بل حتى الطلاب الذين انتقلوا إلى الجامعة ولم يتطور مستواهم اللغوي عما كان قبل ذلك، فكثيرا ما نندهش حين نرى الضحالة الفكرية التي تطبع كتابات الطلبة وكلامهم، والفوضى التعبيرية التي تترجم هذه الضحالة، والاضطراب في التنظيم والعجز البين في توظيف المفردات والصيغ والتراكيب توظيفا سليما ،مما يؤشر بجهل واضح بأساليب اللغة وخصائصها وقواعدها، يضاف إلى ذلك الضعف الملحوظ في القواعد النحوية والصرفية والإملائية، فالكثير من الطلبة يعجز عن إنشاء فقرة سليمة واضحة المعنى ،متماسكة العناصر. هذه بعض ملامح الإشكالية التي يعانيها الواقع التعليمي في مدارسنا، والتي تحاول هذه المداخلة تحليل بعض جوانبها للوقوف على الأسباب التي أدت إليها سواء كانت هذه الأسباب داخلية نابعة من رحم المدرسة مرجعها إلى المعلم أو المنهاج الدراسي أو تدابير المتابعة والتقويم، أو كانت خارجية تتعلق بالمناخ العام الاجتماعي والثقافي والسياسي المحيط بالمدرسة، أو مردها إلى تلك الأسباب مجتمعة أو مفترقة .بعد ذلك نعرض على مظاهر الضعف وصولا إلى بعض جهود الدولة والهيئات في ترقية اللغة العربية. ثم بعد تطرح الحلول المقترحة للمشكلات المثارة ،والتصورات العلاجية لأشكال الضعف اللغوي استنادا إلى المعرفة العلمية والخبرة الميدانية الشخصية. ولمعالجة هذه الإشكالية ارتأى الباحث أن يتطرق للنقاط التالية:

- 1-أسباب ضعف التحصيل المدرسي في مادة اللغة العربية
- 2-مظاهر ضعف التحصيل المدرسي في مادة اللغة العربية
- 3-جهود الدولة والهيئات في ترقية اللغة العربية
- 4-أهم التوصيات والحلول

ويرجو الباحث أن يكون قد وفق في عرضه، والله الموفق، والآن فلنشرع في المقصود

1-أسباب ضعف التحصيل المدرسي في مادة اللغة العربية :

لقد تنوعت الأسباب التي أدت إلى ضعف التحصيل في مادة اللغة العربية و تعددت،و يمكننا تقسيمها إلى :

أ- أسباب خارجية: لا تتعلق بالوسط المدرسي تتمثل في: الأسباب التاريخية، الأسباب الاجتماعية، الأسباب الثقافية...

ب- أسباب داخلية: (تتعلق بالوسط المدرسي) تتمثل في: هيئة التدريس، المنهاج المدرسي، هيئة الإشراف التربوي...

وسنأتي الآن إلى العرض التفصيلي للأسباب المؤدية إلى ضعف التحصيل المدرسي:
أ- الأسباب الخارجية:

أ.1- الأسباب التاريخية:

أ.1.1- محاولات الاستعمار الساعية لطمس اللغة: لَمَّا جاء الفرنسيون إلى الجزائر

محتلين كان أول ما أتوه هو المسارعة «إلى محاولة محو الشخصية الجزائرية الأصلية عن طريق فرنسة الألسنة والعقول»¹. ولقد احتدم الصراع على أشده بين الوطنيين الجزائريين الذين ظلّوا متمسكين بلغتهم العربية ينضحون عنها إلى حدّ العضّ عليها بالنواجذ، وبين الاستعمار الفرنسي الذي أزمع على محو الشخصية الجزائرية -العربية الإسلامية- محواً، ومسّخها مسخاً؛ فإذا هو يحظر تعليم العربية وتعلّمها في المدارس الدينية والمساجد والزوايا إلّا بإذن خاص²، وكان هذا الإذن الخاص، كما يلاحظ ذلك عبد الحميد بن باديس لا يكاد أحد ممّن طلبوه يناله!.

لقد عمد الفرنسيون إلى إغلاق المدارس العربية ومقاضاة المدرّسين فيها إلى درجة جعلت المفكر الإسلامي الجزائري عبد الحميد بن باديس يستخلص بلهجة الخيبة ما آل إليه حال التعليم العربي في الجزائر في الأعوام الثلاثين من القرن الماضي فيقول: «هذا هو الحال من ناحية الإدارة»³ التي هي مؤسفة بقدر ما هي مؤلمة... فمدرسة دار الحديث⁴ ما زالت مغلقة، ومثلها مدرسة القلعة، والمعلّمون في

¹ عبد الملك مرتاض، الصراع بين العربية والفرنسية، في: نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر 1925-1954، ص. 21 وما بعدها، نشر الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983 (الطبعة الثانية).

² أصدر الفرنسيون مرسوماً في ثامن مارس من سنة 1938 يمنعون بموجبه تعليم العربية في أي مؤسسة تعليمية أهلية إلا بترخيص من السلطات الاستعمارية. وهناك ازداد احتدام الصراع بين جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي كانت راعية للإصلاح الديني، ونشر اللغة العربية والاستعمار الفرنسي، فسُجّن أو نُفي كثير من المعلّمين والكتّاب والشعراء على ذلك العهد الاستعماري المظلم.

³ يقصد الشيخ بقوله: «الإدارة» إلى إدارة الاستعمار الفرنسي في الجزائر.

⁴ بنّت هذه المدرسة التي كانت تشبه المعهد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بمدينة تلمسان، وابتدأ التعليم العربي فيها سنة 1937، وكان أول مدير لها الأديب الكبير الشيخ محمد البشير الإبراهيمي،

بِجَايَةٍ وَغَيْرِهَا مَا زَالُوا يِعَاوَدُونَ بِالتَّعْرِيمِ، وَيُسَاقُونَ إِلَى الْمَحَاكِمَةِ كَمَجْرَمِينَ،
وطلّباتُ الرُّخَصِ مَا زَالَتْ تَقَابِلُ بِالرَّفْضِ أَوْ بِالسُّكُوتِ»¹.

ولعل أهم شاهد على هذا القمع اللغوي أننا مازلنا إلى يومنا هذا نجد في لغتنا الدارجة الكثير من الألفاظ الفرنسية تزاخم الدارجة في التعاملات اليومية من أمثال: Table-sport- chapeau-complet-copier-école... بل نجد أن القواعد الفرنسية قد دخلت في لغتنا اليومية وخير مثال على ذلك قولنا " deux pages " ذلك أنه من المعلوم أن اللغة العربية تفردت بإضافة الألف والنون للدلالة على المثني أما في اللغة الفرنسية فإننا حينما نريد أن نحول إلى المثني فإننا نزيد عدد اثنين أمام الشيء المراد تثنيته مثل: deux page . وللأسف فإننا بتأثر لغتنا اليومية بالفرنسية أصبحنا نقول "زوج صفحات". فإذا كان هذا التأثير على اللغة اليومية العامة فماذا عسانا نقول عن اللغة العربية التي لا تستعمل إلا في المؤسسات؟! فعلى العربية السلام والله المستعان.

أ.2.1- ضعف الاطلاع على تاريخ أمتنا المجيدة: لقد كانت العربية عبر عصور هي اللغة العالمية والعلمية السائدة، وكانت هي نعم المعين المطوع المذل للصعاب، وهذه حقيقة لا ينكرها أحد.. وللأسف فإن تاريخ أمتنا وصفحاته المشرقة مغيبة لا يعلم منها التلميذ الجزائري إلا النَتْفَ التي لا تقي برسم صورة واضحة المعالم عن تاريخ أمته المجيد.. حتى يكون له فخر بعربيته وانتمائه.

أ.2- الأسباب الاجتماعية: ويمكن إرجاعها إلى شيئين أساسيين هما البيئة المحيطة والأسرة.

أ.2.1- البيئة المحيطة: إذا تأملنا البيئة المحيطة بالتلميذ المتمثلة في المجتمع، وجدناها لا تخدم اللغة العربية بأي شكل من الأشكال، فكل التعاملات اليومية للتلميذ الجزائري تتم بمزيج من العامية والفرنسية الركيكة. فالعامية منتشرة انتشاراً واسعاً،

فتعرّضت للإغلاق من الفرنسيين خوفاً من تأثيرها، وإطفاء إشعاعها كما يؤكد ذلك ابن باديس في مقالته المنشورة بجريدة البصائر الأسبوعية، سنة 1938. غير أن هذه المدرسة فتحت تارة أخرى، فلعبت دوراً تعليمياً متألّفاً على عهد الاستعمار الفرنسي.

¹ /ابن باديس، البصائر، السنة الثالثة، عدد 140، قسنطينة، في يوم الجمعة 25 رمضان 1357 للهجرة، الموافق 18 نوفمبر 1938، ص.1. وينظر أيضاً آثار ابن باديس، 3. ص. 255 وما بعدها، تقديم عمّار طالبي، نشر دار ومكتبة الشركة الجزائرية للتأليف والترجمة والطباعة والتوزيع لأصحابها مرافقة وبوداود وشركائهما، الجزائر، 1388 هـ. 1968م.

وقائمة على كل لسان ، يتحدث بها الخاصة قبل العامة والمتعلمون قبل غيرهم، ولا يعد أحد استعمال العامية اليوم في كل مجالات الحياة منكراً أو ممنوعاً، بل إن القاعدة العريضة من الناس ، لا تجد حرجاً من الحديث بالعامية في كل المناسبات حتى في صالات الدرس. وقد ساعد استخدام العامية على انتشارها وسهولة دورانها على ألسنة الناس الأمر الذي خفف حدة الشعور الذي لكان في السابق يقع في النفوس إذا استُعملت غير الفصحى ، وأصبح الأمر شبه مقبول عندما يتحدث المتحدث بالعامية أو يخطب الخطيب بها أو يدرس بها المدرّس. ولا شك أنّ استعمال العامية دون حرج يضعف ملكة اللسان ويحدّ من انطلاقه إلى رحاب الثقافة العربية الخصبة ويقيّده في المحيط العامي حتى يستمرئ الإنسان ذلك، ويقع في ازدواج كبير بين العامية التي تأتي على لسانه طوعاً والفصحى التي يجب أن يستعملها في تعليمه وتدرّسه، ويقع دون أن يشعر في التجزئة الممنوعة في اللغة. فالنص الذي يدرسه ويدرّسه يكتب بالعربية الفصحى والحديث يأتي على لسانه بالعامية أو الدارجة واللغة بطبيعتها. « لا تتجزأ ولا تكون صالحة للأدب دون أن تكون صالحة للعلوم، ولا تكون صالحة في الشارع دون أن تكون صالحة في التعليم ولا تكون صالحة في المرحلة الابتدائية دون أن تكون صالحة في المرحلة الجامعية»¹ ، وهذه التجزئة هي حال اللغة اليوم فهي تواجه ازدواجية كبيرة وتجزئة في المجال وفي التخصص.

أ.2.2- الأسرة: وفي هذا العنصر نجد تبايناً كبيراً وفروقا طبقية بين الأسر فمنها الأسر الغنية والفقيرة والمحدودة الدخل ومنها الأسر المثقفة والأسر الجاهلة..وكل هذا قد يؤثر سلباً أو إيجاباً على التحصيل اللغوي والاعتناء بالعربية. فالأسر المثقفة لاشك أنها تعتني بتعليم أبنائها بخلاف الأسر الجاهلة التي لا تعلم شرف العلم وأهله، فإنها تهمل العلم بما فيه تعلم اللغة وهذا ليس على إطلاقه ، فكم من عالم خرج من بيت أميّ وهكذا، لكننا نقول ذلك في الأغلب الأعم، وحتى الأسر المثقفة فإن اهتمامها

¹/ فلسفة اللغة، كمال يوسف الحاج. الطبعة : 1967 م دار النهار للنشر، بيروت. ص: 282.

باللغة العربية قائم على نوعية ثقافتها، هل هي ثقافة عربية اسلامية أم ثقافة أعجمية تغريبية، فلكل وجهة هو مولّياها.

أ.3- الأسباب الثقافية: وهي محصلة تراكمات اكتسبها المجتمع الجزائري حول مفاهيم عديدة.. وللأسف فإن النظرة التي كرسها الإستعمار لمحو العربية وازدراءها لازالت قائمة في ذهنية الجزائري أو على الأقل حتى نكون دقيقين في ذهنية شريحة عريضة من المجتمع الجزائري، ولا أدل من ذلك أن الفرد من المجتمع حينما يتقن لغة أجنبية يتكلم بها ويتفاخر بها في الجلسات والمليقات بل ويعجب به الناس ويمتدحونه ويصفونه بالثقافة و سعة الاطلاع...حتى وإن كان لا يحسن إقامة حرفين على بعضهما البعض بالعربية.

وبعد هذا لا ننسى نصيب وسائل الإعلام في هدم صرح العربية، ونذكر من بين أهم وسائل الإعلام: التلفاز والمسرح و مجلات الأطفال.

أ.1.3- التلفاز: لعل التلفاز بشقه السلبي من أهم المؤثرات على ضعف التحصيل اللغوي وذلك بسبب:

- كثرة الأخطاء اللغوية في البرامج الموجهة للتلاميذ، طبعاً هذا إن كانت بالعربية الفصحى!؟.

- عرض أفلام الكرتون المتكلمة باللهجات العامية كالمصرية، مثل مسلسل علاء الدين - تيمون وبومبا ومسلسل سيمبا...

- عدم وجود الحصص والبرامج التعليمية الخادمة للغة العربية على قنواتنا الوطنية.

وبعد هذا فإن التلفاز صار أداة هدم للغة فمن أفلام الكرتون بالدارجة إلى نشرات الأخبار والأحوال الجوية المليئة بالأخطاء والخلط بين الفصحى والدارجة والفرنسية إلى الأفلام باللغة الفرنسية إلى المسلسلات بالدارجة السورية والمصرية... وبيّن هذا الزخم كله لا مكان للفصحى فيه... ولا نتكلم عن معاول الهدم للهوية والأخلاق والدين التي يبثها التلفاز والقنوات بأنواعها¹.

¹ / انظر: الغزو الفكري في أفلام الكرتون، د. أحمد نتوف دار نحو القمة، (ط.1-2007) دمشق - سوريا. ص: 14-19.

أ.3.2- مجالات الأطفال: خاصة المجالات ذات الصور والتعاليق، لوحظ فيها الإشراف في استعمال اللغة العامية ونذكر على سبيل المثال لا الحصر مجلة "طيور الجنة" التي تنشر الأناشيد بالعامية السورية.

أ.3.3- مسرح الأطفال: يكاد يكون منعدما وإن وجد فلغته السائدة هي العامية.

ب- أسباب داخلية (تتعلق بالوسط المدرسي): يمكن حصرها في ثلاث أمور:

1- المنهاج المدرسي 2- هيئة التدريس 3- هيئة الإشراف التربوي.

ب.1- المنهاج المدرسي: على الرغم من جهود الدولة الجزائرية في تطوير

المنظومة التربوية إلا أنّ النقص مازال واضحا.

ب.1.1: الكتاب المدرسي:

- بعض المواضيع المقترحة لا تناسب سن التلميذ :

فمثلا أ نشودة "مدرستي" - في السنة الأولى - تضمنت ألفاظا ذات مستوى

يفوق قابلية الطفل في السنة الاولى وغير مدروسة تماما مثل "أغدو، صبحي،

أديب"، ونفس القول ينطبق على أنشودة "وداعا مدرستي" على بحر الهزج تضمنت

ألفاظا صعبة مثل: "أن" بمعنى "حان" و"خليل" بمعنى "صديق" "العود"

بمعنى "الرجوع". وفي أنشودة "الماء" ص221س1 ألفاظ فوق مستوى تلميذ في

السنة الأولى مثل "الحسن - البهاء - المدى".

- ضعف التعبير بالصور عن مضمون النص: وهذا راجع لعدم الاستفادة من

الأبحاث السيميولوجيا في هذا المجال ولو استفيد منها لعادت بالخير العميم¹.

- الخلل الناتج عن عدم تسلسل الدروس تسلسلا علميا منطقيا :

فعلى سبيل المثال لا الحصر نجد في تدرج السنة الرابعة أساسي درس تصريف

الفعل الصحيح مع عدم وجود درس سابق يفرق بين الصحيح والمعتل، فكيف

يصرف التلميذ الفعل الصحيح إذا لم يدرس معنى الفعل الصحيح والمعتل؟². أيضا

يقرر درس "اللازم والمتعدي"، ودرس "المفعول به" يقرر بعد هذا الدرس

بمراحل، فكيف يميز التلميذ اللازم من المتعدي إن لم يعرف المفعول به؟³.

¹ /انظر على سبيل المثال لا الحصر الصور ص112-180 من كتاب رياض النصوص (القراءة) للسنة الرابعة من التعليم الأساسي، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية، ط2008، الجزائر.

² / انظر التدرج السنوي لمادة اللغة العربية ص:155.

³ /السابق: درس اللازم والمتعدي ص:154 من التدرج، ودرس المفعول به ص:156 من التدرج .

-الأخطاء الواردة في الكتب المدرسية سواء كانت نحوية أو صرفية أو عروضية:
على سبيل المثال لا الحصر نذكر من الأخطاء النحوية في كتاب السنة الثالثة
أساسي¹ ما يلي:

العبارة	الصفحة	الخطأ	الصواب
- "ماذا تُفَضِّلُ أَنْ تَغْرِسَ؟".	130	جرّ كلمة "تفضل"	رفعها لأن الفعل المضارع متجرد من الناصب والجازم كما هو واضح.
- سَأَهْتَمُّ بِهِذه الشتلات ولن أَهْمِلُهَا أبداً"	130	رفع الفعل "أهمل"	- نصب الفعل ب "لن".
- "وتساقطتِ أوراقُ الأشجار"	100	تحريك تاء التأنيث الساكنة بالكسر.	البقاء على الأصل وهو سكون تاء التأنيث لعدم وجود عارض لكسر التاء تخلصاً من النقاء الساكنين.

وقد رأيت كيف وجدنا خطأين في صفحة واحدة ترى كم سيكون حجم الكارثة؟
أما فيما يخص الأخطاء العروضية:

فلا غرابة إن أوردنا بأن هناك أخطاء عروضية رهيبة في
المحفوظات (القصائد أو المقطوعات) المقررة في الأطوار المدرسية، ونحس بهذه
الهنات الفادحة أثناء القراءة العادية للقصيدة (محفوظة) ونشعر بالشرح وعدم
الانسجام أكثر عند الأداء، حيث يصعب على التلاميذ أداء نشيد يكون نصه ذا خلل
عروضي موسيقي صوتي، وهذا يجعل التلاميذ ببراءة معرفية يشمنز من صعوبة

¹ / انظر على سبيل المثال لا الحصر الصور ص112-180 من كتاب رياض النصوص (القراءة) للسنة
الرابعة من التعليم الأساسي، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية، ط2008، الجزائر.

أدائه وينفر من البيت أو الشطر الذي مسه الثقل وأصابته هذه الهنات وهنا نطرح سؤالاً جوهرياً علنياً دقيقاً "من يتحمل هذه الهنات العروضية الخطيرة؟ وما سببها؟".
* الاحتمال الأول "خطا مطبعي، أسقط أو أضاف حروفاً أحدثت خللاً بالوزن!!
ولكن أليست هناك لجنة قراءة للمضامين، ويفترض أن يكون منها من يفقه الأوزان حتى نقدم نصاً سليماً للتلميذ من حيث معناه ومبناه.

* الاحتمال الثاني "أن يكون كاتب هذا النص (الشاعر) قد قدم نصاً يتضمن خللاً عروضياً، وهذا أيضاً أمر خطير ولا مبرر له، لأن المحفوظات والانشيد أثناء الأداء تركز على قدر لا يستهان به صوتياً وإيقاعياً.
ومن أمثلة هذه الهنات، نذكر تتابع أربع حركات في أنشودة شرطي المرور ص 01 من كتاب القراءة السنة الأولى، البيت الأول الشطر الثاني، "يقف في أمان"، والخطأ نفسه في أنشودة الماء ص 221 البيت الأول الشطر الثاني والشطر الأول من البيت الثاني يقول الشاعر "لحيوان الأرض والنبات"، فالأحرف الأربعة الأولى لكلمة الحيوان كلها متحركة فيبدو أن لا وزن يحكم كل أبيات هذه الأنشودة ويشكل هذا صعوبة بالفعل في الأداء لدى التلاميذ.

- إقحام العامية في الكتاب المدرسي : حيث أن الطائفة في كتاب اللغة العربية للسنة الأولى ابتدائي تحولت إلى "طيّارة" وكلمة متسخة في كتاب السنة الثالثة أصبحت "موسخة"، ليبدأ إقحام العامية بالتدريج إلى أن يتم ترسيمها كلغة وطنية.
- تجويّف اللغة العربية بإخلائها من القواعد والنحو : حيث جاء في الصفحة الرابعة من كتاب اللغة في السنة الأولى ابتدائي مجموعة إرشادات للمعلم جاء فيها "مراعاة التخلص التدريجي من الشكل الحركات مع حروف المد، الضمائر، أسماء الإشارة، الأسماء الموصولة وبعض حروف المعاني.

ب.2.1: الوسائل: - ضعف الوسائل التعليمية وانعدامها خاصة في المؤسسات التربوية الواقعة في المناطق الريفية.

ب.3.1: التقييم: - اختلال شبكة التقييم وذلك من خلال تضارب مناهج التقييم في ظل غياب منهج تقييمي موحد يقيم من خلاله مجهودات الطلبة وكفاءاتهم اللغوية.

ب.2- هيئة التدريس:

- ضعف تحصيل أستاذ اللغة العربية وعدم تمكنه وإلمامه بالمادة وهذا راجع إلى ضعف التكوين.

- تملص أساتذة المواد العلمية من التكلم بالفصحى بدعوى اهتمامهم بالمادة العلمية فقط دون مراعات الفصحى.

ب.3- هيئة الإشراف التربوي:

- تعاملاتهم بالدارجة .

- ضعف تكوينهم وعدم اطلاعهم على المناهج اللسانية الحديثة في تعليمية اللغة.

2 - مظاهر ضعف التحصيل في مادة اللغة العربية:

بما أن اللغة وسيلة تواصل وتخابط وتعبير عن الأغراض - كما حدها (ابن جني) : «أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم»¹، وكذلك عدها أصحاب الإتجاه الوظيفي وعلى رأسهم (أندري مارتيني) وفي هذا الصدد يرى جون لاينز (John Lyons) « أن تحديد اللغة بوصفها أداة تواصل يعدّ حقيقة بديهية »² - فإن الغاية الأساسية من تعلم اللغة وإتقانها هو التواصل شفويا وكتابيا بلغة سليمة، وهذا ما يفتقده التلميذ الجزائري .

ومن مظاهر ضعف التحصيل في مادة اللغة العربية:

1.2- ضعف لغة الخطاب لدى الطالب و يتمثل في:

أ- التعبير الشفهي: حيث أن التلميذ يجد صعوبة في التعبير ويظهر ذلك في تلثمه، وخطئه الدارجة بالفصحى، وكثرة الأخطاء النحوية والصرفية..

ب- التعبير الكتابي: ويتمظهر ذلك في كثرة الأخطاء النحوية والإملائية والصرفية وضعف الأسلوب وضعف الاستشهاد...

3- جهود الدولة والهيئات في ترقية اللغة العربية :

1.3- تأسيس المجمع الجزائري للغة العربية:

لقد وقع الشروع في تقنين بعض المؤسسات العليا للحفاظ على اللغة العربية في المجتمع الجزائري وترقية استعمالها منذ أواخر الأعوام السبعين، وعلى عهد

¹ /ابن جني، الخصائص، مج:1 ص:44، المكتبة الوفيقية، (ب.ط- ب.ت)، القاهرة-مصر .

² / يُنظر : John Lyons, Semantics, v.1, Ed. Cambridge University Press, New York and Sydney, 1989, p.32.

الرئيس الراحل هواري بومدين، ومن ذلك وضع اللجنة الأولى لمجمع اللغة العربية الجزائري، ولكن الرئيس توفي قبل أن يتحقق ما أراد إنجازه، ولذلك كان الشائع في بداية الأعوام الثمانين من القرن الماضي أن تسمى هذه الهيئة العليا: «أكاديمية هواري بومدين للغة العربية»، أو نحو ذلك... وفي عام 1986 وقع تقديم القانون التنظيمي للمجمع الجزائري للغة العربية فنوقش في مجلس النواب قبل أن تقع المصادقة عليه، فأمرى قانوناً وطنياً لا يمكن إلغاؤه إلا من خلال المجلس نفسه الذي أسسه وأقره. غير أن تأسيس هذا المجمع وقع التراخي في إنشائه إلى خريف 1998 حين نصب الرئيس اليمين زروال مكتبه المؤلف من خمسة أعضاء، على أن يتم تعيين الأعضاء الباقين أو انتخابهم من زملائهم من بعد ذلك. وتوفي الرئيس الأول المريض لهذا المجمع دون أن ينهض بنشاط أكاديمي واحد. وعين رئيس آخر وإلى اليوم يذهب إلى مكتبه ويؤوب إلى بيته دون أن يحقق شيئاً من غايات هذا المجمع. وكيف يستطيع ذلك ولم يعين أي عضو من العلماء الجزائريين، وبعض العلماء العرب والأجانب المرسلين، كسيرة كل المجامع في العالم، فيه؟... وكأن هذا المجمع أمسى عبئاً فادحاً على الدولة تتفق على مجموعة من موظفيه الإداريين الذين هم، بعد، لا يُديرون شيئاً؛ فهو كما هو، إلى أن يرث الله الأرض، أو يقضي في شأنه أمراً كان مفعولاً!.

2.3- المجلس الأعلى للغة العربية : لقد نصب رئيس الجمهورية هذا المجلس برئيسه وأعضائه الستة والثلاثين، بصورة رسمية بناء على القوانين الجزائرية التي توجب تعميم استعمال اللغة العربية في المحيط، ومؤسسات التعليم، والإدارة يوم السبت 28 سبتمبر 1998. وانطلق هذا المجلس من عدم، وقد بذل أعضاء المجلس جهوداً خارقة تحت إشراف رئيسه فتأسست مكاتبه الإدارية، وموقع للإنترنت، ومكتبة. كما أسس المجلس مجلة «اللغة العربية» التي صدر منها، في السنوات الثلاث الأولى خمسة أعداد تناولت قضايا متخصصة في مسائل اللغة العربية، ونهض بموسمين ثقافيين، ونظم عدة ندوات وطنية ودولية منها ندوة دولية ناقشت موضوع: «مكانة اللغة العربية بين اللغات العالمية» في نوفمبر 2000، وقد طبعت أعمال هذه الندوة في كتاب خاص. كما طبعت كل أعمال الندوات والمواسم الأخرى، ووقع تكريم الطلاب السبعة الأوائل الذين حازوا على أعلى العلامات في

اللغة العربية في شهادة البكالوريا تكريماً سخياً... ورُصدت مسابقة وطنية لأحسن ثلاثة كتب مؤلفة باللغة العربية وتتناول موضوعات علمية دقيقة، ووزعت الجوائز على الفائزين بعد الاحتكام إلى لجنة تأسست لهذه الغاية...

لكن مهمات الأعضاء المحددة بخمس سنوات انتهت فتفرقوا شذراً مذبذباً، ولم يقع التمديد لهم ولا تعويضهم بسوائهم، بعد أن نُحّي الرئيس الأول، وعُيّن رئيس آخر يغدو على مكتبه ويروح، لأنّ الرئيس لا يعمل وحده أمام انعدام وجود الأعضاء. وتلك هي النهاية الغامضة لهاتين المؤسستين اللغويتين... فعلى الرغم من الومضات التي تأتي هنا وهناك لنصرة العربية من قبل الدولة إلا أنها تبقى بصفة محتشمة .

4- أهم التوصيات والحلول: وبعد استجلاء أهم الأسباب المؤدية إلى ضعف تحصيل

اللغة العربية في الجزائر، ومعرفة أهم مظاهره، وجهود الدولة والهيئات العلمية في الرقي بها... رأى الباحث التماس بعض الحلول والتوصيات التي يرى أن لها تأثير طيباً للارتقاء بمستوى تحصيل اللغة العربية، يسوقها الباحث على شكل نقاط فيقول:

1- متابعة هذه الإصلاحات و تجسيدها ميدانياً.

2- ننادي بضرورة عقد ندوات متخصصة لترقية تدريس اللغة العربية وتحسينه وتيسيره للناشئة، وإغرائهم بالتعامل مع النصوص الأدبية الحقيقية، لا نصوص الروايات التي كثير من لغتها لا يرقى إلى الأسلوب الفصيح، بله الراقي، وذلك بتدريس النحو من خلال النصوص الأدبية المعترف نقدياً وتاريخياً بقيمتها الأدبية.

3- فتح نواذٍ للقراءة الموجهة تحت أدياء متخصصين في المدارس الكبرى على الأقل، وذلك تحت إشراف أدياء مشهود لهم بمعرفة العربية وحبها أيضاً، لا تحت إشراف المعلمين المحدودي الثقافة اللغوية، وذلك من أجل ترقية الذوق الأدبي العام لدى المتعلمين منذ نعومة أظفارهم.

4- إعادة النظر في بناء المناهج المدرسية بحيث تتماشى و قدرات المتعلمين و بتسلسل منطقي.

5- تعميم استخدام التكنولوجيا (الاعلام الآلي - الانترنت ...) في جميع المدارس.

6- تفعيل المكتبات في المدارس .

7- الالتزام باللغة الفصحى داخل الحرم المدرسي (بدءاً من الحاجب الى رئيس المؤسسة).

8- تأسيس نوادٍ تكون ملحقة بالمدارس الثانوية للخطابة، والتمرس على ارتجال الكلام بالعربية الفصحى، وتخصيص جوائز تشجيعية للمتفوقين، حتى لا يَرثَ الجيلُ الجديدُ رعونة الأمية، وعيَّ اللسان، عن الجيل القديم من المسؤولين في الدولة الذين لا يعرفون كيف يتحدثون في المواقف العامة...

9- إعادة النظر في بعض النصوص المختارة في كتب المطالعة المقررة في المدارس، من أجل ترقية الذوق اللغوي، وإشاعة العربية العالية بين الناشئة.

10- إقامة حملات تحسيسية توعوية خاصة بأهمية اللغة العربية.

11- تكثيف الحصص التثقيفية التعليمية من خلال إنشاء قنوات و برامج متخصصة لخدمة اللغة العربية في ضوء بعد تداولي خادم لحقيقة وظيفة اللغة العربية الذي هو التواصل.

12- العمل على جعل النجاح في مادة اللغة العربية إجبارياً، بحيث لا ينجح التلميذ في شهادة البكالوريا، مهما تكن النتائج المتحصّل عليها، ما لم يحصل على خمسين في المئة من علامة اللغة العربية يوم الامتحان، كما هو الشأن في كثير من البلدان التي تحترم لغتها ومنها ألمانيا...

13- تدريس اللغة العربية، بما هي مادة، في التخصصات الجامعية العلمية حتى لا ينسى الطالب، المتخصص في غير اللغة العربية، ما كان تعلّمه في الابتدائي والثانوي فلا يحسن، بعد التخرّج، لا التدريس ولا البحث باللغة العربية...

14- إعتداد الوسائل الناجعة في تعليم اللغات .

15- إنشاء لجان متخصصة في مراجعة لغة الصحافة المقروءة و المرئية و لغة الكتاب المدرسي ...الخ.

16- الارتقاء باللغة العربية و جعلها لغة علم من خلال استعمالها في جميع التخصصات الجامعية بتعريبها.

17- اشتراك الأسرة في مشروع المؤسسة الذي يتبنى فكرة النهوض باللغة العربية و أنها مكون من مكونات الهوية الوطنية

18- إطلاق حملة عامة لتعريب الوثائق الإدارية و اللافتات خاصة التي لها علاقة بالتلميذ (فاتورة الغاز ،الكهرباء...).

19- إنشاء مجلات دورية للمتعلمين تخدم اللغة العربية و تبرز مكانتها بترك احتوائها على عناصر التشويق كالإخراج المحكم و الصور...
20- تشجيع مبادرات التلاميذ الكتابية من خلال إنشاء مسابقات فكرية تثن الأعمال الأدبية الطلابية.

خاتمة:

وبعد، لعل سائلا يسأل:

- كيف السبيل إذن للنهوض بهذه اللغة من كبوتها والمحافظة عليها؟!
فنقول له: لكل لغة حراس عليها.. لكل لغة رجال يدافعون عنها ، من رجالنا المخلصين ومن علمائنا الأفاضل الذين جاد بهم الزمان من لدن فجر العربية إلى يومنا هذا، فحافظ إبراهيم في خضم هذه الأزمة التي تحدث الباحثون الأفاضل عنها ألقى قصيدته المشهورة دفاعاً عن اللغة العربية وفي صدرها يقول:

رجعت لنفسي فاتهمت حـصاتي *** وناديت قومي فاحتسبت حياتي
رموني بعقم في الشباب وليتني *** عقت فلم أجـزع لقول عداتي
ولدتُ ولمّا لم أجـ،دْ لِعَرَّاسِي *** رِجَالاً وَأَكْفَاءً وَأَدْتُ بِنَاتِي
أنا البحر في أحشائه الدر كامـ *** فهل سألوا الغواص عن صدقاتي
موقف حافظ إبراهيم موقف فريد ، نحن نريد من حراس العربية وعلمائها
الأفاضل أن يوجدوا على الساحة، وأن يظهر منهم المختفون وهم كثيرون وهم أفذاذ ،
يستطيعون أن يكتبوا، وفي أجهزة الإعلام أن ينادوا بأعلى أصواتهم: كيف ننهض
بالعربية؟! وينبهون إلى مواطن العلة والداء ، ينبغي أن يكون هذا الصوت موجوداً
في كل نوافذ الإعلام صباح مساء ، لأن الموقف يحتاج إلى ذلك والموقف خطير
للغاية، وقد تابعنا في الفترة الأخيرة من يؤكدون في بحوث أن اللغة العربية -
وبالذات بين الناشئة - مهددة تهديداً خطيراً أن تتوارى عن السنة أبنائنا إزاء هذا
النشاط اللغوي الأجنبي الذي يستشري يوماً بعد يوم ، وبمناسبة ذلك أقول: نحن لسنا
ضد اللغة الإنجليزية أو الفرنسية أو غيرها فنحن في حاجة إليها ، والعولمة تفرض
علينا ذلك، ولكن ليس على حساب اللغة العربية ولا على حساب التربية الدينية، فهذا

أمر مهم للغاية. أيضاً مسألة التعريب للتعليم العلمي التطبيقي، التجربة موجودة في سوريا الشقيقة، ونجحت نجاحاً باهراً، ففي كليات الطب والهندسة والحاسبات تدرس هذه المواد هناك باللغة العربية. وهناك أمر أود أن أنبه عليه وأن ينتبه الجميع له: ينبغي أن يكون مقرر اللغة العربية موجوداً بكل الكليات لكل طالب جنباً إلى جنب بجانب التربية الدينية، اللغة العربية ينبغي أن يكون لها وجود واضح في كل مراحل التعليم.. هذه مسألة مهمة. وأضف إليها إن تكرم علينا إخواننا في وسائل الإعلام ، عليهم أن يعيدوا حساباتهم وأن يفسحوا الطريق فقط للقادرين على التحدث وإدارة الحوار وتقديم البرامج باللغة الفصيحة.. هذه المسألة لا تقبل المناقشة. إلى إخواننا كذلك في السلك الدبلوماسي لا يتحدثوا إلا بالفصحى في المؤتمرات العامة ، افرضوها فرضاً أينما وليتم وجوهكم.. احرصوا على أن تجعلوها لغة عالمية بكل الوسائل الممكنة وتمسكوا بها، فهي جزء من شخصيتكم وهوية أمتكم التي نعتز بها جميعاً.. ينبغي أن نفيق ، وأن نعود إليها ، مخلصين لها ، حريصين عليها ، متمسكين بها؛ لأنها لغة الله يوم القيامة ولغة أهل الجنة في الآخرة.

المراجع:

- 1 - آثار ابن باديس، تقديم عمار طالبي، نشر دار ومكتبة الشركة الجزائرية للتأليف والترجمة والطباعة والتوزيع لأصحابها مرازقة وبوداود وشركائهما، الجزائر، 1388 هـ. 1968م.
 - 2 - التدرج السنوي لمادة اللغة العربية الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية ط 2011، الجزائر.
 - 3 - الخصائص، ابن جني، مج:1، المكتبة الوفيقية، (ب.ط- ب.ت)، القاهرة-مصر.
 - 4 - رياض النصوص (القراءة) للسنة الرابعة من التعليم الأساسي، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية، ط 2008، الجزائر.
 - 5 - الصراع بين العربية والفرنسية، في: نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر، عبد الملك مرتاض 1925-1954، نشر الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983 (الطبعة الثانية).
 - 6 - الغزو الفكري في أفلام الكرتون، د. أحمد نتوف، دار نحو القمة، (ط.1-2007) دمشق-سوريا.
 - 7 - فلسفة اللغة، كمال يوسف الحاج. دار النهار للنشر ، ط 1967 م. ، بيروت.
- المراجع بالأجنبية:
- 8 - John Lyons, Semantics, v.1, Ed. Cambridge University Press, New York and Sydney, 1989,

الصحف والمجلات:

- 9 - البصائر، ابن باديس، السنة الثالثة، عدد 140، قسنطينة، في يوم الجمعة 25 رمضان 1357 للهجرة، الموافق 18 نوفمبر 1938.
- 10 - جريدة «الجزائر نيوز»، الجزائر، الصادرة في 12. 4. 05.